قراءة في كتاب :

صورة العرب في الاعلام الصهيوني

عرض الدكتور/ عبد الهادي الزيدي*

في عالم الكتب الذي نتجول في آفاقه عبر هذه الزاوية، الكثير من العناوين التي قد تنسب الى المألوف والمطروق أو المتداول، لهذا يظنّ من يسمعها أول مرة أنها قد لا تحمل جديدا أو هي نوع من وقوع الحافر على الحافر، فلا جدة او حداثة او اضافة الى الفكر الانساني... لهذا فكتابنا الذي نحن بصدد قراءته في هذه السطور يضع لنفسه عنوانا نسمعه كثيرا وبعضنا يمتلك عنه معلومات ما ، الا أنه جمع الكثير مما قرأناه أو سمعناه ، بل اضاف اليها وشائجاً تربط صفحاته حتى استقامت في دراسة نافعة لأهل الاختصاص ولذوي الثقافة العامة في وقت واحد...

انه: كتاب (صورة العرب في الاعلام الصهيوني) لمؤلفه الدكتور(عدنان عبد الرزاق الربيعي) والصادر عن دار أمجد في عمان، عام ٢٠١٤، في ٣٣٤ صفحة، وبغلاف سميك من القطع الكبير...

رتب المؤلف كتابه في ستة فصول موزعة وفق ما يتطلبه موضوع الكتاب من تغطية موسعة وشاملة ترتبط بالعنوان الذي يحمله، وقد اختص الفصل الأول بالاطار المنهجي متضمنا: مشكلة البحث، ثم أهمية الدراسة والحاجة اليها، وأهداف البحث، ثم مجال الدراسة، ومنهج الدراسة واجراءاتها، والدراسات السابقة، وأخيرا تعريف المصطلحات، وهي: مصطلح الصورة الذهنية، ومفهوم كلمة: العرب، والاعلام الصهيوني الذي عرّفه الباحث تعريفا اجرائيا هو: الاعلام

*تدريسي في كلية العلوم الاسلامية – جامعة بغداد

الصهيوني وهو النشاط الاتصالي المباشر وغير المباشر للكيان الصهيوني عبر وسائل الاعلام الجماهيرية.

***الجذور الفكرية للعقيدة اليهودية ***

حمل الفصل الثاني عنوان الجذور الفكرية للعقيدة اليهودية، وهي التوراة والتلمود، وقد رآى المؤلف بعد القاء الضوء عليهما بحث علاقتهما بافتراءات اليهود وطباعهم التي جبلوا عليها، والجانب العدواني في تصور اليهود للإله، وأثر العقيدة في الشخصية اليهودية، وصفاتهم في التوراة والانجيل والقرآن.

والتوراة هي الصحف التي أنزلت على موسى –عليه السلام – ، وقد ضاعت في ثنايا التوراة المحرفة التي بين يدي اليهود، وأما ما جاء قبل صحف موسى وما جاء بعدها من رسالات الأنبياء والرسل فإنها ليست من التوراة في شيء، ومن يطلع على التوراة التي بين أيدي اليهود يجدها مثالا حيا من اكاذيب وأخيلة وخرافات، فهي تتكلم عن الله ، وكأنها تتكلم عن شخص عادي، يخطئ ويصيب، ويتعب ويجهل ويحزن، ويأكل ويشرب، وينام ويمشي...الخ، لقد أنزل اليهود الله تعالى الى مرتبة البشر، كي يحطموا الحواجز بينهم وبينه، ويحملوه من آثامهم وشرورهم ما يشاءون ، وهو لديهم (يهوه) إله قبلي متوحش، متعطش لشرب الدماء، إله أناني متحيز يعمل لمصلحتهم وحدهم، والإضرار بغيرهم من الشعوب، وهم شعبه المختار، وحتى بقية البشر لم يخلقهم على صورتهم التي هم عليها إلا لخدمة شعبه المختار.

ومن صور اساءة التوراة لله تعالى أنه ندم حين سمح بتشتيت شعبه، وتدمير هيكله، فبكى وصاح ولطم خديه، فقد وعد من زعموا أنهم أجدادهم (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) بملك فلسطين، لهم ولأبنائهم وأحفادهم من بعدهم، ليس أرض فلسطين وحدها، بل وما بين النهر الكبير(الفرات) ونهر مصر(النيل) ، وليس هذا فحسب بل وكل أرض تدوسها أقدامهم.!! كما إن التوراة تتكلم عن الأنبياء ، وكأنها تتكلم عن مجرمين سفاحين، وزناة، يشربون الخمر، ويعبدون الأصنام، ويحبون الدسائس والمؤامرات – حاشاهم الله – وهو منهج سارت عليه التوراة في تشويه سير الأنبياء – عليهم السلام–.

اما التلمود فهو الاسم الذي اطلقه اليهود على الكتاب الذي يحتوي الشريعة اليهودية الشفهية، و(التلمود) معناه – باختصار–كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم ، فهو بالنسبة للتوراة يكون شرحا وتفسيرا وتعليقا، ولا شك أن هذا حق الحاخامات والكهنة في الديانة الكهنوتية، وهو مجمل القواعد والوصايا والشرائع والتقاليد الدينية والأدبية والشروح والتفاسير والروايات المختلفة المتعلقة بدين وتاريخ اليهود.

وكان اليهود يتناقلونه مشافهة ، إلا أنه بعد أن تعاظم شأنه، وتراكمت رواياته، لدرجة عز على النقل، قرر أحبارهم تدوينه خوفا عليه من النسيان والضياع، أو اختلاطه بغيره، وكذلك ليسهل عليهم نشره، وهكذا برز التلمود إلى الوجود، في وقت لا يعرف تاريخه بشكل محدد.

ويركز المؤلف على ان انعكاس تعاليم التوراة والتلمود على اخلاق اليهود في أنه يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تسلط باق الأمم في الأرض، لتصير السلطة لليهود وحدهم، فإذا لم تكن لهم السلطة عدوّا انفسهم كأنهم في حياة النفي والأسر، ويعيش اليهود في حرب مع باقي الشعوب حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع، وحينئذ يدخل الناس أفواجا في دين اليهود.

صورة العرب في الفكر الصهيوني

تحت عنوان: صورة العرب في الفكر والادب والتعليم الصهيوني، جاء الفصل الثالث من كتاب الدكتور الربيعي، مفصلا هذه الصور كما وردت في مصادرهم التي يروجون لها في العصر الحديث.

وإذا كان هدف التربية كما حدده العلماء، هو تحقيق التوافق والانسجام بين الفرد وبيئته المادية والروحية والمحافظة على الخبرة الإنسانية وتحقيق المطالب التي يتوقف عليها استمرار حياة الفرد وأمنه النفسي، فإن أسس التربية الصهيونية قد اعتمدت منذ البداية منهجاً متطرفاً يقوم على (التفريد والتمييز) ومن ثم فإن مرتكزاتها تقوم أساسا على فكرة (شعب الله المختار) وما يحيط بهذه المقولة من أوهام وتأويلات وطلاسم تحاول أن تؤسس عالما على تعاليم التوراة والتلمود بتعاليمها المتعددة والمحرفة بأدلة قطعية تاريخية.

وترسم مناهج التربية الصهيونية صورة الفرد اليهودي، داخل فلسطين المحتلة وخارجها، بانه الأداة الرئيسة التي ينفذ المشروع الصهيوني بواسطته أهدافه، ففي داخل فلسطين تعمل الحركة الصهيونية على تحويل اليهودي القادم إلى (إسرائيلي) جديد، وتعمق في نفسه شعور الانتماء إلى الكيان الصهيوني، ويتم ذلك بتضافر جهود مؤسسات تربوية عدة تعمل لتحقيق هذا الغرض، ويشعر الصهاينة أن مستقبل الكيان يتوقف على مدى نجاح هذه المؤسسات التربوية في تنشئته أجيال (إسرائيلية) مستعدة وقادرة على حمل الرسالة الصهيونية، ولا يقل ذلك أهمية في نظر القادة الصهاينة، عن توفر السلاح العسكري.

ويسلط المؤلف الضوء على صورة العربي في أدب الأطفال الصهيوني وهي صورة سلبيةً، شريرةً يجب الحذر منها، وعدم مهادنتها، ومنها شخصية (العربي البدوي) الذي يحمل علاماته الفارقة؛ في وجهه ندبةٌ، يلبس كوفيةً، راعي بقرٍ، يعيش في الصحراء، بدوي وليس فلاحاً، لأن البدوي لا علاقة له بالأرض، وقد كانت شخصيته معروفةً في الثقافة العالمية، بسبب الاتصالات التي كانت قائمةً بين أوروبا والشرق، وهي اتصالاتٌ وعلاقاتٌ بين مستعمِر ومستعمَر.

وشاعت في كتب الأطفال الصهيونية عبارة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) واتخذتها أساسا لفلسفتها، فصوّرت البلاد فارغةً من السكان، وأن فلسطين ليس فيها سوى البدو، ثم أطلقوا شعار (موت العربي) وحقنوا أطفالهم به، لزرع ثقافة الكراهية والحقد ضدّ العرب البدائيين الذين يؤمنون بالخرافات والشياطين والأرواح، على عكس صورة اليهود العقلاء الأقوياء، المتنوّرين، الذين لا يؤمنون بالخرافات، وانحصرت صورة العربي في الأدب الصهيوني غالباً في ثلاث مقولاتٍ هي: العربي المتخلّف، والعربي الممثّل للأغيار، والعربي الغائب.

إن أول ما يواجَهنا إذا أردنا أن نبحث عن ملامح صورة العربي في أدب الأطفال الصهيوني، ومن خلال استقراء العديد من الأعمال الأدبية الموجهة للأطفال الصهاينة – هو تعمُّد تقديم الإنسان العربي لهؤلاء الصغار مخلوقًا مشوَّهًا، في أبشع صورة يمكن أن تخطر على بالٍ؛ لكثرة ما تشتمل عليه من ملامحَ منفرةٍ، جعلوها ملازمةً لحضوره في أعمالهم الأدبية، على اختلاف أنواعها؛ وذلك كي يبدو في عيون أولئك الصغار، ليس مثيرًا للكراهية والاحتقار فحسب، بل للتقزز والاشمئزاز أيضًا.

الاعلام الصهيوني ومرتكزاته

في الفصل الرابع من هذا الكتاب تناول المؤلف : الاعلام الصهيوني ، مرتكزاته، اساليبه، استراتيجياته... مقررا ان الصحافة الصهيونية تحتل مركز الصدارة بين وسائل الإعلام والدعاية في إسرائيل ، فقد أدركت الصهيونية خطورة هذه الوسيلة ودورها في تكوين وتوجيه الرأي العام فعمدت إلى استغلالها والسيطرة عليها في أماكن كثيرة من العالم وتوجيهها الوجهة التي تخدم مصالحها وشعارهم في ذلك: إذا كان الذهب هو القوة الأولى فإن الصحافة هي القوة الثانية، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى ، وعلينا بواسطة الذهب أن نستولي على الصحافة، وحينما نستولي عليها نسعى جاهدين لتحطيم الحياة العائلية والأخلاق والدين والفضائل، و قد استطاعت الصهيونية عن طريق الصحافة التغلغل والتسلل إلى الحكومات الغربية، إضافة إلى تغلغلها في المنظمات والتشكيلات السياسية والاجتماعية ومراكز النفوذ والقوى الضاغطة.

وذكر مؤلف الكتاب أن الجانب الدعائي احتل حيزاً مهما في النشاط الصهيوني ، فالاتصال بيهود العالم وتعبئتهم نفسيا وعقائديا كانا من المهام الأساسية للحركة الصهيونية فمع بداية الهجرة اليهودية إلى فلسطين بدأت المحاولات الصهيونية لإقامة جهاز دعائي يرتكز على الصحافة اليومية بصفة خاصة ، وكان في مقدمة الأهداف لتلك المحاولات إيجاد لغة مشتركة بين جميع المستوطنين اليهود الذين قدموا إلى فلسطين، وصهر هذه الجموع في بوتقة واحدة ، والسياسة العامة للإعلام الإسرائيلي يتم توجيهها عبر دوائر حكومية مختصة ، حيث تتداخل السياسة الإعلامية الإسرائيلية بالسياسة الخارجية : حيث درجت إسرائيل على جمع مهام وزارة الإعلام في وزارة الخارجية ، وبأجهزة الأمن الإسرائيلية ، حيث تشرف دائرة الحرب النفسية في وزارة الخارجية الإسرائيلية الموجه إلى المنطقة العربية بهدف زرع اليأس في نفس الإنسان العربي وزعزعة ثقته بنفسه وأمته وتاريخها وحاضرها ومستقبلها، فضلا عن شن حرب نفسية متواصلة ضد العرب وتحقيق سياسة إسرائيل الهدامة في المنطقة العربية.

ونوّه المؤلف الى خطورة الدعاية الصهيونية والتي ركزت على تضخيم الدور الحضاري لليهود في المنطقة العربية على وجه الخصوص وفي العالم بوجه عام ، وكيف أن أبناءها اليهود غيروا مجرى الأحداث السياسية والعلمية في العالم مثل ماركس وفرويد وأينشتاين ، والتأكيد على أن

إسرائيل حقيقة تاريخية ، وحجتها في ذلك أنها دولة قائمة ولها حق البقاء، وقد تمكنت الدعاية الصهيونية من ربط تصرفات العرب بما كان يفعله النازيون .

وهذا التزاوج في الصورة يكفي وحده لإثارة النفور ضد العرب لدي الملايين من أهل الغرب الذين لن ينسوا ما أوقعه النازيون من خراب في الإنسان والإنسانية، وقد ساعدهم في ذلك عدم وجود دعاية عربية دفاعية أو مضادة لأن الوضع العربي الراهن يفتقر إلى استراتيجية موحدة .

وتصف الدعاية الصهيونية النظم السياسية العربية بالديكتاتورية والتسلطية، كما تتهم الدول العربية بالعنصرية في التفرقة الدينية، بالمقابل تبرز هذه الدعاية الصهيونية الصهاينة بصورة مثالية ، فالمواطن الصهيوني هو دائما ذكي وشجاع ، محب للسلام ذو أخلاق عالية وان كيانهم هي واحة الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط.

السينما الصهيونية وتشويه صورة العرب

احتل هذا الموضوع مضمون الفصل الخامس من الكتاب عن صورة العربي في السينما والفضائيات الصهيونية.

وقد استطاع الاعلام الفضائي والسينما الصهيونية بفعل سيطرة المال والإعلام اليهودي على هوليود أن يلعبا خلال نصف القرن الماضي دوراً أساسياً في الدعاية للمشروع الصهيوني في فلسطين وتشويه صورة العربي لدى المشاهد الأوروبي والأمريكي وحتى التسلل الى المشاهد العربي من خلال الأفلام الأمريكية التي تغزو دور السينما العربية والبيوت عبر أشرطة الفيديو والقنوات الفضائية الأجنبية والعربية، استطاعت أيضاً التكيف مع التغييرات التي طرأت على أمزجة المشاهدين فتحولت من مرحلة الدعاية المباشرة الى الدعاية المستترة، ولم تجد في المقابل سينما عربية فاعلة ومؤثرة قادرة على مواجهتها وكشف تزويرها للحقائق وتحريفها للوقائع التاريخية، فاستمرت في إنتاج أفلام جديدة تحمل خلال هذه الفترة شعار (السلام) بالمفهوم الصهيوني.

وكانت أولى ثمرات التعاون السينمائي الصهيوني مع هوليود كان فيلم "سيف في الصحراء" عام ١٩٤٩ من إخراج "جورج شيرمان" وكان هدف الفيلم الدفاع عن موقف بريطانيا المساند لقيام الكيان الصهيوني، من خلال تصوير العلاقة بين الصهاينة وبريطانيا على أنها علاقة عداء نتيجة دعمها للعرب والفلسطينيين، وبرز في الفيلم دور الولايات المتحدة في دعم الكيان

الصهيوني من خلال البطل الأمريكي الداعم للصهيوني، وفي العام ١٩٥٣ موّلت هوليود أول فيلم سينمائي تم تصويره داخل فلسطين حمل اسم "الحاوي" من إخراج "إدوارد ديمتريل" من بطولة الممثل "كيرك دوغلاس"، وتدور أحداث الفيلم حول شخصية اليهودي الألماني "هانز موللر" الذي فقد أسرته أثناء الحرب العالمية الثانية، وهجرته الى فلسطين، التي يصورها الفيلم باعتبار "إسرائيل" الحاضنة لليهود، وحلمهم المنشود، ورغم الصعوبات التي يواجهها البطل اليهودي حسب الفيلم، إلا أن نهاية الفيلم المرسومة لتحقيق هدفها السياسي تتجسد في قدرة البطل على تجاوز الصعوبات والبقاء في الكيان الصهيوني بسبب حبه له وسعيه للحفاظ على حلمه في حياة سعيدة.

والسينما الصهيونية التي شكلت خلال السنوات الماضية خطراً على القضايا العربية، لن تتوانى عن استغلال المتغيرات الدولية الأخيرة، وربما لن يطول بنا الانتظار حتى نرى أفلاماً صهيونية التوجه تتناول الإسلام باعتباره دين (الإرهاب)، مستغلة الحملة الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين والفهم الخاطئ لدى الجمهور الأمريكي خصوصاً والغربي عموماً للإسلام وما تبعها من حملات ظالمة ضد الإسلام لم تكن المنظمات اليهودية واليمينية الأمريكية والأوروبية بعيدة عنها.

التحدي وسبل المواجهة

كان هذا عنوان الفصل السادس والاخير من الكتاب، فبعد ان استعرض المؤلف صورة العرب في مجالات الفكر والتربية والاعلام، كان لابد من البحث في كونها تحديا للعرب عامة ولوسائل الاعلام العربية والاسلامية خاصة ، وبالنسبة لمهمة وسائل الاعلام العربية في قضية الصراع العربي الصهيوني، نستنتج بسهولة مدى تشتت الخطاب الاعلامي العربي وضعفه في مواجهة ما يحمله المستقبل من تحديات تزيد من ضخامتها ثورة الاتصال التي يشهدها العالم، والتي اعتمدت على التكنولوجيا الحديثة واستطاعت ان تلغي الحدود وتتجاوز كل وسائل الرقابة لتنقل سيلا رهيبا من المعلومات في كل اتجاه، ولاسيما بالنسبة لشبكات التلفزة الفضائية التي فرضت وجودها وحضورها بشكل قوي، ليس في منطقة جغرافية معينة، وإنما في العالم بأسره.

وحول سبل مواجهة الإعلام الصهيوني يؤكد مؤلف الكتاب على أهمية أن ينشط الإعلام العربي الخارجي، وأن يوظف جميع إمكاناته ووسائله من مكاتب إعلامية تابعة للسفارات

العربية في الخارج والمكتبات ودور النشر، والصحف، ومراكز البحث العلمي ، والمعارض، وغيرها للدفاع عن الشخصية العربية ودحض الافتراءات التي تلصق بها والعمل على تعرية تلك الافتراءات وكشف أهدافها ومروجيها أو العمل على قيام تعاون وثيق مع رموز الرأي العام العالمي وعلى جميع الأصعدة بما يعود بالنفع على صورة العرب في وسائل الاعلام وضرورة إنشاء مجالس ولجان من المفكرين والصحفيين وكبار المثقفين العرب لإدارة الإعلام العربي داخليا وخارجيا ، على أن يكون الإعلام العربي المحلي موحداً في العالم العربي بأسره بحيث يؤول إلى تعبئة الأمة نفسيا حول هدف إيجابي موحد وهو مقاومة المد الاعلامي الصهيوني .

أما الأعلام الخارجي فيجب أن يدار من قبل نخبة من أهل الفكر والمعرفة والخبرة والاختصاص حتى يكون أكثر فاعلية، ولابد من منح أهمية خاصة لقيام وكالة عربية دولية للأنباء، لأنه في حالة وجودها فإنها ستفوق بفاعليتها وتأثيرها كل الوسائل الإعلامية الأخرى وهذا يتطلب تكاتف الجهود من اجل تحقيق هذا الهدف.

وبعد ان انهى المؤلف فصول الكتاب التي ارتبط بعضها ببعض بشكل منطقي اقرب لما هو مطلوب منه في مثل هذه الدراسات، وقف كما اطلعنا آنفا على جملة نقاط ركز فيها على سبل المواجهة وسبل معالجة الصورة الذهنية السلبية عن العرب في الاعلام الصهيوني... ومثل هذه الدراسات تعمق الوعي بما هو مطروح من تحديات واشكالات تواجهها امتنا اليوم بعد ان اصبحت الحرب الاعلامية تتفوق في خطورتها ونتائجها المدمرة على اية حرب اخرى، وبالتالي فالكتاب يشكل اضافة نوعية ، بالرغم مما قد يقال بان الموضوع متداول، فما ورد فيه من معلومات وسلاسة تناول واحتواء ناجح لموضوع واسع مثل هذا ، يؤهله لان يكون كتابا مهما يصدر في مرحلة صراع حضاري كبير، يحتل الاعلام فيه مركز الصدارة من حيث الاهمية ودرجة التأثير.